(١٧) موعظة الموت

الخطبة الأولى :

أمّا بعد فيا أيّها الاخوة المسلمون :

واعظان : ناطق وصامت :

ترك فينا رسول الله ﷺ واعظين بليغين : واعظاً ناطقاً، وواعظاً صامتاً .

واعظان دائما لا يكفّان عن الموعظة .

فانّاس فى حاجة إلى عظة بليغة، فالقلوب تقسو، والعقول تغفل، والدنيا تغرّ، والنفس تأمر بالسوء والشيطان يضل الناس، لابدّ من واعظ . والنبى عليه الصلاة والسلام ترك لنا هذين الواعظين الدائمين البليغين : الأول : واعظ ناطق هو (القرآن) .

والآخر : واعظ صامت هو (الموت) .

القرآن يصابحنا ويماسينا بآيات الله، تذكرّ الناسى وتنبه الغافل، وتزيد المؤمن إيمانا . ﴿ **فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ [ق : ٤٥] .

الموت واعظ صامت :

والموت كذلك يصابحنا ويماسينا، ويراوحنا ويغادينا، وهو واعظ بليغ .

ولكنّ النّاس للأسف صمّ لا يسمعون، النّاس منشغولون بدنياهم، يلهثون وراءها، ويتهارشون عليها، ويتقاتلون على أعراضها، ناسين هذا الذى يهدّدهم فى كلّ يوم . . بل فى كلّ ساعة . . بل فى كلّ دقيقة . . بل فى كلّ لحظة، ناسين هذا الواعظ و« كفى بالموت واعظا »[١] جاء ذلك موقوفاً ومرفوعاً إلى النبى ﷺ .

أرأيتم أبلغ من هذا الواعظ : أن يكون الإنسان بين يديك صورة حيّة . .

---

(١) قال العراقي فى تخريج أحاديث الإحياء (٤ / ٤٥٠) أخرجه الطبرانى والبيهقى فى الشُعَب من حديث عمّار بن ياسر بسند ضعيف، وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقى فى الزهد . وانظر (كشف الخفاء للعجلونى : ٢ / ١١٢ برقم ١٩٣٣) .

جسداً حيّاً . وجهاً مشرقاً . لساناً ناطقاً . إرادةً ترغب فى الدنيا وتدبّر لها، فإذا بهذا الوجه المضىء قد ذبل، وإذا بهذا الجسد الحى قد مات، وإذا بهذا اللسان الفصيح قد خرس، وإذا بالإنسان الذى كان ملء السمع والبصر قد أصبح فى لحد من اللحود.

الحقيقة الغائبة الحاضرة هى الموت:

هذه هى الحقيقة الغائبة الحاضرة: حاضرة يشهدها الناس فى كلّ يوم، وغائبة لأنّ الناس لا يريدون أن يذكروها.

لو تذكرّ كلّ امرىء من ودّع من أحباب وأقرباء وأصدقاء وزملاء وجيران، لذكر الكثير الكثير.

هات ورقة وقلماً واكتب من مات ممّن تعرف، لن يكفيك ورقة ولا ورقتان، ولا دفتر ولا دفتران، ستجد سجلاًّ حافلاً من الأهل والأقرباء، ومن الأحبّاء والأصدقاء، ومن البعداء والغرباء، ستجد الكثير الكثير.

الموت أقرب من لمح البصر:

هل تظنّ أنّ الموت بعيد عنك؟ لا، والله.

الموت أقرب ما يكون إلى الإنسان:

كلّ امرىء مصبّح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

﴿ **وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** ﴾ [النّحل:٧٧]، وإذا كانت هذه هى الساعة العامّة، فلكلّ إنسان ساعته، ومن مات فقد قامت قيامته.

أمر الموت كلمح البصر، أو هو أقرب من لمح البصر، إن هو إلاّ خيط دقيق يفصل بين الحياة والموت، فإذا بهذا المخ يتوقف، وإذا بهذا القلب - هذه المضخّة التى تضخّ الدم للجسم - قد توقف، وإذا هذا النّفس الذى دخل لا يستطيع أن يخرج وإذا بهذا الجسم قد أصبح جثة هامدة.

حكم المنيّة فى البريّة جارى ماهـــذه الدنيا بـــدار قرار

بينا يُرى الإنسان فيها مُخبراً حتى يُرى خبراً من الأخبار

بعد أن كان يُخبر ويقول: حدث كذا وكذا أو سيحدث كذا وكذا، إذا هو نفسه أصبح خبراً من الأخبار، يُذاع فى الإذاعة، أو ينشر فى الصحف، أو يتناقله الناس: مات فلان، ما أيسرها من كلمة تلوكها الألسن. وما أعظمها من حقيقة وراء هذه الكلمة: (فلان مات)! أى انتهى كلّ شيىء، لم يعد أمامه فرصة ليراجع رصيده أو يتوب من سيئاته أو يزيد من حسابه عند الله.

انتهت الفرصة بالموت، ضاعت الفرص التى كانت للإنسان فى حياته، قد ضيّعها بالغفلة.

حينما يأتى الموت يتمنّى الناس: لو أمهلوا شهراً من زمن، أو أسبوعاً من شهر، أو يوماً من أسبوع، أو ساعة من يوم، أو دقيقة من ساعة. لعلّه فى هذه الدقيقة يقول: تبت إلى الله، لعلّه يسبحّ أو يهلّل أو يكبرّ، أو يوصى بوصيّة لم يوصها فى حياته وصحتّه وهيهات هيهات ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[المنافقون: ٩-١١]، ﴿**إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[نوح: ٤]. ﴿**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[الأعراف: ٣٤]، الساعة هنا ليست الساعة الفلكيّة (ستين دقيقة)، لا، الساعة هنا هى الساعة اللغويّة: لحظة من الزمن، كلّ لحظة من الزمن تسمّى ساعة فى اللغة.

فالأجل معلوم لا يستقدم عنه ولا يستأخر لحظة واحدة، والعمر محدود: أيام معدودة وأنفاس محدودة، بل لحظات معدودة وأنفاس محدودة.

اذكروا هاذم اللذات:

النّاس فى غفلة عن هذا الموت، ولهذا أوصانا النبى ﷺ فقال: «أكثروا ذكر

هاذم اللذات: الموت» [1]، هو الذى يقطع اللّذّات وينغّص على الإنسان استمتاعه بها إذا ذكر الموت. . إذا ذكر أنّ هذا الذى هو فيه لن يدوم لأنّه لو دام لمن قبله لدام له.

سأل أحد الخلفاء أحد العلماء فقال له عظنى، قال: اعلم إنّك لست أول خليفة يموت، لو لم يمت من قبلك ما وصلت الخلافة إليك. قال: زدنى، قال: ليس بينك وبين آدم إلاّ أب ميّت، وإنّ امرءاً ليس بينه وبين آدم إلاّ أب بيّت لمعرق فيِ الموت، أى: أصيل فيِ الموت.

أخذ هذا أبو نُواس فقال:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفت ... له عن عدو فى ثياب صديق

وما النّاس إلاّ هالك وابنّ هالك ... وذو نسب فى الهالكين عريق!

ميّت ابن ميّت ابن ميّت. . ذو نسب فى الميتين عريق! فهل تُخلّد أنت بعد هؤلاء. . بعد هذا السجلّ الحافل من الموتى؟ لا، والله لن تُخلّد.

روى سهل بن سعد أن جبريل جاء إلى النبى ﷺ فقال: «يا محمد، عش ما شئت فإنّك ميّت، واعمل ما شئت فإنك مجزىّ به، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه. .» [2]، عش ما شئت فإنّك ميت، عش أربعين أو خمسين أو ستين أو سبعين أو مائة سنة، أو هب أنك عُمرّت ما عمّر نوح (ألف سنة أو تزيد) ما النّهاية؟ النّهاية هى: الموت. حكوا أن نوحا عليه السلام بعثه الله إلى قومه، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين، ثم أخذهم الطوفان، وعاش ما شاء الله له أن يعيش

---

(١) رواه الترمذى والنّسائى وابن ماجة والحاكم والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة رضى الله عنه، ورواه الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب أيضاً عن أنس ابن مالك رضى الله عنه، ورواه أبو نعيم فى الحلية أيضاً عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فيض القدير للمناوى: ٢/ ٨٤ برقم ١٣٩٦).

(٢) رواه أبو الشيخ، وأبو نعيم، والحاكم وصحّح إسناده، وحسّنه العراقى، وتتمّته: «واعلم أنّ شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن النّاس»، ينظر (كشف الخفاء للعجلونى: ٢/ ٥٩ - ٦٠ برقم ١٧٣١).

بعد الطوفان، فلما جاء ملك الموت يقبض روحه سأله: يا أطول الأنبياء عمرا، كيف وجدت الدنيا؟ قال: وجدتها كدار لها بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر.

وإذا كان آخر العمر موتا فسواء قصيره والطويل

عند الاحتضار يتضاءل هذا العمر أمامك، وتجد هذا الشريط الطويل وكأنّه لا شيء ﴿ **كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا** ﴾[النازعات: ٤٦]، ﴿ **كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ** ﴾[يونس: ٤٥].

لابدّ من الموت، مهما استمتعت بالحياة فإنّك مفارقها. وإذا كان هذا شأن الدنيا فما أهونها وما أتفهها؟

مادام الإنسان معرّضاً فى كلّ يوم وكلّ ساعة لنعمة زائلة أو لمصيبة نازلة، أو لمنية قاتلة، فما قيمة هذه الدنيا؟!

جُبلت على كدر وأنت تريدها صفواً من الآلام والأكدار

ومكلّف الأيّام ضدّ طباعها متطلّب فى الماء جذوة نار

هذه هى الدنيا:

هذه هى الدنيا، وتلك طبيعتها:

بنى أحد الملوك داراً فجملّها وزيّنها وزخرفها وفرشها بفاخر الأثاث، ووضع فيها من الزينات والتحف والنفائس مالا يخطر ببال، فقال لأحد جلسائه وكان من الصالحين: هل ترى من عيب فى هذه الدار فأحاول أن أصلحه؟ قال: نعم، أرى فيها عيباً، ولكن لا يمكنك إصلاحه. قال: كيف، عندى المال؟ قال: عيب هذه الدار أنّ لك منها خرجةً لا عودة بعدها إليها، أو دخلة لا خروج لك منها!

وهكذا كلّ دار مهما زينتها وزخرفتها فإنّ لك خرجة لا دخول بعدها أو دخلة لا خروج منها.

جاء رجل إلى أحد الصالحين وقد اشترى داراً فاخرة وأراد أن يسجّل له

العقد، فأراد الرجل العالم الصالح أن يلقنه درساً فكتب فى العقد: أمّا بعد. . فهذا ما اشترى ميّت من ميّت: داراً فى بلد الغافلين وسكّة المذنبين، لها أربعة حدود: الحد الأوّل ينتهى إلى الموت، والثانى إلى القبر، والثالث إلى الحساب، والرابع إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار! ثمّ أنشد وهو يبكى:

النفس تبكى على الدنيا وقد علمت ... أنّ السلامة فيها ترك ما فيها
لادار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلاّ التى كان قبل الموت يبنيها
فإنْ بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشرّ خاب بانيها
أين الملوك التى كانت مسلطنةً ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
أموالنا لذوى الميراث نجمعها ... ودُوْرُنا لخراب الدهر نبنيها
كم مِنْ مدائن فى الآفاق قد بنيت ... أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
لكلّ نفس وإن كانت على وَجَل ... من المنيّة آمال تقويها
فالمرء يبسطها، والدهر يقبضها ... والنفس تنشرها، والموت يطويها!

هذه هى الدنيا.

وقف سليمان بن عبد الملك - أحد خلفاء بنى أميّة - أمام المرآة، فأعجبته نفسه، ونظر فى شبابه وجماله وقال: أنا الملك الفتى. وكانت له جارية صالحة شاعرة، فقال لها: ما تقولين فِىّ؟ قالت له منشدة:

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أن لا بقاء للإنسان!
ليس فيما رأيته فيك عيب ... كان فى النّاس غير أنّك فان!

ما دمت فانياً فهذا عيبك، هذا هو العيب الذى لا يُصلح.

كل نفس ذائقة الموت:

الموت نهاية كلّ حى، حوض مورود لكلّ النّاس ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [آل عمران: ١٨٥، الأنبياء: ٣٥، العنكبوت: ٥٧]، قرر ذلك القرآن فى آيات ثلاث.

« كل نفس ذائقة الموت »: كلّ نفس. . الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون. . يذوقون الموت.

الرسل المصطفون الأخيار قبل رسول الله ﷺ ذاقوا الموت.

محمد رسول الله، وخيرة الله تعالى من خلقه، ذاق الموت. حينما مات ذهل الصحابة رضوان الله عليهم، وأنكر منهم من أنكر، وانعقد لسان منهم من انعقد، وقال عمر: من قال ذلك ضربت عنقه. ولكن الله ثبّت رجلين وألهمهما الحق:

١ - العباس عمّ رسول الله ﷺ الذى قرأ على الناس قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾ [الزُّمر: ٣٠، ٣١]، ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾[الأنبياء: ٣٤]

٢ - أبو بكر رضى الله عنه الذى خطب خطبته البليغة: « أيها الناس من كان يعبد محمّداً فإنّ محمّداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيٌّ لا يموت » ثمّ تلا الآية الكريمة من سورة (آل عمران: « ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ** ﴾[آل عمران: ١٤٤].

الرسل والأنبياء والصالحون قد ماتوا.

والملوك والأمراء قد ماتوا:

والملوك، والأباطرة، والأكاسرة، والقياصرة، والخلفاء، والعظماء، والأغنياء، قد ماتوا. لم يغن عنهم ملكهم ولا جنودهم ،وجيوشهم، لم تغن عنهم كنوزهم وأموالهم، ولا ما يملكون من قناطير مقنطرة من الذهب والفضّة، وماذا يصنعون بها؟ هل يرْشُون عزرائيل؟ هل يدخلون بها القبر؟ الناس يقولون: الكفن ليس له (جيوب)! أى أنّ أحداً لا يذهب فى كفنه بأموال لأن الأكفان ليس فيها مِخْبَأ أو جيب أو نحو ذلك توضع فيه الأموال والنقود، أرأيت أحدا يدخل القبر ومعه صندوق من الذهب أو دفتر شيكات على مصرف من المصارف؟

يستوى الأغنياء والفقراء حينما يأتى الموت، ولذلك مات الملوك . . مات الأكاسرة والقياصرة، كما قال المتنبى :

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا

من كلّ من ضاق الفضاء بجيشه وحواه بعد الموت لحدٌ ضيقّ

الذين ضاق الفضاء بجيوشهم حواهم بعد الموت لحدٌ ضيقّ، متر فى متر، أو متر فى مترين، هذا هو مصير الإنسان فى النّهاية .

عَمِرّ القصور، وشيّد ما شئت من الدُور، فمصيرك إلى هذه الحفرة فى وادى الموتى .

إذهب إلى ذلك الوادى فى (أبى هامور)[1]، أو غير أبى هامور – وقد شهدنا نحن هنا فى الدوحة خلال ثلث قرن عدّة مقابر امتلأت وأغلقت – إذهب إلى هذه المقابر، هل تعرف قبر أمير من مأمور أو غنىٌ من فقير؟ الكل استوى حينما ضمّته تلك اللحود، وأكله الدود .

من كلّ من ضاق الفضاء بجيشه وحواه بعد الموت لُحدٌ ضيقّ

دخل بعضهم على عبد الملك بن مروان فى مرض موته، وسأله : كيف تجدك؟ قال : أجدنى كما قال الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾[الأنعام : ٩٤]

هارون الرشيد . . انتقى أكفانه بيده ثم جلس يقول على فراشه : ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾[الحاقّة : ٢٨, ٢٩] .

وابنه المأمون . . جلس على الرماد وهو يدعو ويقول : يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه!

---

(١) موضع فيه مقبرة شهيرة فى دولة قطر. لازالت مفتوحة إلى اليوم: والمقابر فى بلاد الخليج ليست دائمة، كما فى مصر وغيرها. لأن كل ميت له قبره الخاص، فاذا امتلأت المقبرة بالموتى، أغلقت، وبحث عن مكان آخر يصلح مقبرة. (القرضاوى)

لا يبقى ملك أحد، ولا يبقى مال أحد، ولا يبقى نعيم أحد. الكل زائل، الكلّ ستُطوى صفحته، وسيواجه مصيره.

الموت كأس يشربها الجميع ويذوقها الجميع، أهل الدين وأهل الدنيا: الأنبياء والصالحون. والملوك والأمراء والأغنياء وأصحاب المال والجاه. كلّ سينال نصيبه من هذه الكأس، لا فرار منها، «عشت ما شئت فإنّك ميت»(١).

كان الحسن البصرى يقول للشيوخ أهل المشيب: أيّها الشيوخ ماذا وراء الزرع إذا بلغ إلاّ الحصاد! وينظر إلى الشباب ويقول: أيّها الشبان أما رأيتم زرعاً أهلكته الآفة قبل أن يبلغ؟!

كم من آفة تدرك الزرع فتأكله وتتلفه قبل أن ينضج؟! وكذلك نرى فى الحياة. اقرأ الصحف وانظر ماذا ترى؟ هذا مات عن عمر يناهز المائة أو الثمانين أو السبعين، وآخر لم يبلغ الأربعين أو العشرين، لأنّ الموت لا يأتى فى سنّ محدّدة، ولا يستأذن قبل قدومه، بل يأتى بغتة وأنت فى غفلة عنه.

لانجاة من الموت إذا جاء الأجل:

ما أكثر من يموتون بالسكتة القلبيّة، أو الذبحة الصدريّة، أو بما شئت من ألوان موت المفأجأة، نعوذ بالله من موت الفجاءة.

وما أكثر من يموت فى حوادث السيارات أو القطارات أو الطائرات! بل قد تكون ماشياً على رجليك فيأتى من يدوسك بسيارته ويقتلك، بل قرأنا عن القطار الذى انحرف عن مساره فدخل بعض البيوت فقتل أهلها، وهم آمنون فى بيوتهم!

ورأينا الطائرات التى تسقط على بعض القرى، فتهدّم بيوتاً على أهلها، وتهلك من فيها وهم لم يركبوا طائرة فى حياتهم، ودورهم أبعد ما تكون عن المطارات!

الموت آت لا ريب فيه، مهما حاولت أن تفرّ منه: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي**

---

(١) قطعة من حديث سهل بن سعد الذى مرّ تخريجه قبل قليل.

تَفرُّونَ منهُ فَإنَّهُ مُلاقيكُمْ﴾[الجمعة:٨]، ﴿قُلْ متَاعُ الدُّنْيَا قَليلٌ وَالآخرَةُ خَيْرٌ لّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتيلاً * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[النّساء:٧٧، ٧٨].

نزل طاعون ببعض البلاد، ففرّ أحد الشباب خشية أن يصيبه، قال له أبوه: ابْق معنا يصيبك ما يصيبنا، وقدر الله نافذ، قال:لا، أريد أن أهرب. فذهب وفى سفره أدركته القيلولة، فقال تحت شجرة، فجاءت أفعى فلدغته فمات، فلمّا بلغ الخبر والده قال:

راح يبغى نجوة ... من هلاك فهلك

والمنايا راصدات ... للفتى حيث سلك

كلّ شيىء قاتل ... حين تلقى أجلك

إذا جاء الأجل ستُقتل بأىّ شىء، ولو بعثرة تعثرها.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعدّدت الأسباب والموت واحد

إذا جاء الأجل فلا نجاة، قد تُعرض على أمهر الأطباء، قد يسفّرونك إلى الخارج، ولكن إذا كان الداء من السماء بطل الدواء، وحار الأطبّاء، ونفذ القضاء.

إنّ الطبيب له علم يُدلّ به ... ما دام فى أجل الإنسان تأخير

حتى إذا ما انتهت أيّام مهلته ... حار الطبيب وخانته العقاقير

مرض (ابن الرومى) الشاعر المعروف، فذهب إلى أحد الأطباء، فوصف له دواء، فتناول الدواء فازداد مرضا، ثمّ عرف أنّ الطبيب أخطأ فى التشخيص وأخطأ فى وصف الدواء، فقيل له: إن الطبيب قد غلط، فقال: ولكن القدر قد أصاب، ثم أنشأ يقول:

غلط الطبيب علىّ غلطة مُورد ... عجزت موارده عن الإصدار

والنّاس يَلْحَوْن الطبيب، وإنّما ... غلطُ الطبيب إصابةُ الأقدار

الموت – أيها الناس – آت لا ريب فيه، ولكنّنا واأسفاه فى غفلة عن هذه الحقيقة الخطيرة. هناك يوم وهناك ساعة سيقول الناس فيها عن كلّ منّا: مات فلان. ماذا أعددت لهذا اليوم؟ ماذا أعددت لهذه الساعة أيّها الإنسان؟

جاء فى الحديث: «الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله الأمانى»(١). الكيّس: العاقل. . حسن التصرّف، من دان نفسه: من حاسبها وحاكمها. . حاسبها قبل أن تحاسب، وحاكمها قبل أن تقف أمام المحكمة الإلهيّة، العاجز: أى الأحمق. . الغبىّ. . البليد.

سُئل النبى ﷺ عن أكيس النآس وأحزم النآس؟ فقال: «أكثرهم ذكراً للموت، وأكثرهم استعداداً للموت، أولئك الأكياس، ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة»(٢).

فلنستعد – أيّها الإخوة – للموت قبل أن يفجأنا، لنكن أكياساً، لنكن عقلاء، لنكن من أهل الفطنة والكياسة ولا نغفل، حتى لا نفاجأ بهذه الحقيقة ونحن لم نتزودّ من الدنيا بما ينفعنا فى سفرنا.

لقد كان الصّدّيقون والصالحون يبكون على أنفسهم من قلّة الزاد. على بن أبى طالب رضى الله عنه يدخل عليه بعض أصحابه، فيجده يبكى ويقول:

إليك عنىّ يادنيا غُرّى غيرى، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، عمرك قصير، وعيشك حقير، ومتاعك قليل، آه من قلّة الزاد وبُعد السفر ووحشة الطريق!

---

(١) رواه أحمد والترمذى وابن ماجة والحاكم وصحّحه على شرط البخارى، عن شدّاد بن أوس رضى الله عنه. وفى سنده أبو بكر بن أبى مريم وهو ضعيف كما ذكر الذهبى وابن ظاهر. انظر (فيض القدير للمناوى: ٥ / ٦٧ برقم ٦٤٦٨).

(٢) رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت، وجوّد العراقى إسناده فى تخريج الإحياء، ورواه أيضا الطبرانى فى الصغير بإسناد حسن، وكذا قال الهيثمى عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للقرضاوى: ٢ / ٨٦٦ برقم ٢٠٧٨).

ابن أبى طالب، ابن الإسلام، ورجل الإسلام، وسيف الإسلام، يشتكى من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق! فماذا أعددنا نحن من الزاد ليوم المعاد؟!

تـزودّ لـلـذى لابـدّ مـنـه فـإنّ الموت مـيـقـات العـبـاد

أترضى أن تكون رفيق قوم لهـم زاد وأنـت بغـيـر زاد

وقال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾

[البقرة: ١٩٧]

اللهم زوّدنا التقوى، واجعلنا من أهل الآخرة، واجعلنا من الأكياس الذين يستعدّون لما بعد الموت، اللهم آمين.

أقول قولى هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثاني:

أما بعد فيا أيّها الإخوة:

استذكروا الموت، توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا.

الموت أقرب من كلّ قريب منّا، وإنّما ننساه لغفلتنا وغرورنا بالدنيا وبالشيطان، وكلّما ودّعنا حبيباً إلينا أو عزيزاً علينا تذكرنا الموت.

الشيخ عبد اللطيف زايد فى ذمة الله:

قد ودّعنا فى هذا الأسبوع أخاً عزيزاً علينا، حبيباً إلينا، عرفناه فأحببناه، وعاشرناه فازددنا له حبا، بما جمع الله له من شعب الإيمان، وخصال الرجولة، ومكارم الأخلاق. إنه الأخ الكريم، والصديق الحميم. العالم العامل المخلص الداعية. نحسبه كذلك والله حسيبه ولا نزكيه على الله، هو: الشيخ (عبد

اللطيف زايد)[1]، الذى طالما سمعتموه من فوق هذا المنبر مرات ومرّات، والذى اختطفه الموت فجأة من بيننا، ففقدت قطر بفقده عالما من العلماء الربانيين، وداعية من الدعاة الصادقين، ومربيا من فضلاء المربين.

فنسأل الله تبارك وتعالى أن يغفر له ويرحمه، ويتقبّله فى الصالحين، ويسكنه الفردس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين والعلم خير الجزاء، ويخلفه فى ذويه وأهله بخير ما يخلف به عباده الصالحين، وأن يقبل شهادتنا فيما نعلم عنه، ويغفر له ما يعلمه سبحانه وتعالى.

اللهم إنّا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة، اللهم إنّك عفوّ تحب العفو فاعف عنّا.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أعمالنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اجعلنا من الذين يعلمون فيعملون، ويعملون فيخلصون، ويخلصون فيقبلون.

---

(١) هو الصديق العزيز والأخ الحبيب، والزميل الكريم الشيخ عبد اللطيف محمد زايد أحد علماء الأزهر الذين قدموا إلى قطر للتدريس فى مدارسها منذ أواخر الخمسينيات فى القرن العشرين، وحين قدمت إلى قطر سنة ١٩٦١ مديرا للمعهد الدينى الثانوى، طلبت نقله إلى المعهد ليعمل معى مدرسًا فيه لما عرفته عنه فى مصر من صدق وإخلاص وتفان فى أداء الواجب، وبقى معى في المعهد حتى انتقلت منه إلى الجامعة ثم عمل موجها للعلوم الشرعية بالوزارة مع فضيلة الداعية الكبير الشيخ عبد المعز عبد الستار حفظه الله، ثم عين مديراً للمعهد الدينى وظل به سنوات.

وقد كان الشيخ عبد اللطيف من خيرة العلماء الذين يحبهم كل من عرفهم، لصفاء نفسه، وحسن خلقه، وطيب معشره، وكان من كرام المربين الذين يؤثرون فيمن حولهم بحالهم أكثر من مقالهم. رحمه الله رحمة واسعة (يوسف القرضاوى).

اللهم انصر الإسلام وأعزّ المسلمين، اللهم اجعل كلمة الإسلام هى العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين فى كلّ مكان، اللهم انصر إخوتنا فى فلسطين وإخوتنا فى البوسنة والهرسك، وإخوتنا فى كشمير، وإخوتنا فى الفلبين، وإخوتنا فى كلّ مكان من أرض الإسلام.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ ردّ عنّا كيدهم وفلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء، رخاء، وسائر بلاد الإسلام.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ونبيّك محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿ **وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾[العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١٨) خطبة عيد الفطر

(ألقيت بمدينة الدوحة عاصمة قطر)

الخطبة الأولى:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذى أتمّ علينا نعمة الصيام والقيام، الحمد لله الذى أتمّ علينا نعمة الطاعة والإقبال على الله فى شهر رمضان.

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النّعمة بهذا الإسلام العظيم، وامتّن علينا به فى كتابه الكريم: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة: ٣]

وأشهد أنّ سيّدنا ومولانا وإمامنا وأسوتنا، وحبيبنا ومعلمنا محمّداً عبدُ الله ورسوله، خير من أدّى الأمانة، وبلّغ الرسالة، ونصح للأمة، وجاهد فى الله حقّ جهاده، وتركها على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلاّ هالك، فمن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله فلا يضرّ إلاّ نفسه، ولا يضرّ الله شيئا ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ﴾ [الإسراء: ٧] ﴿ **وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾ [النّمل: ٤٠].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبى الكريم، وعلى آله وصحابته، وأحينا اللهّم على سنتّه، وأمتنا على ملّته، واحشرنا فى زمرته، واسقنا من حوضه شربة لا نظمأ بعدها أبدا، واجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

هذا يوم العيد، هذا يوم التكبير: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، والله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله والله أكبر الله أكبر وللّه الحمد.

هذه أعيادنا نحن المسلمين، لا يُرفع فيها ذكر غير ذكر الله عزّ وجلّ، الله أكبر وحده هو الذى يُهتف باسمه، لا يُهتف باسم بشر.

التكبير فى العيد ومعناه:

أعيادنا نحن المسلمين أعياد ربانية تبدأ بالتكبير، وتُزيّن بالتكبير كما جاء فى الأثر: «زيّنوا أعيادكم بالتكبير»(١) وقال تعالى فى ختام آية الصيام: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

التكبير شعار الإسلام، شعارنا فى العيد إذا عيّدنا، فى الأذان إذا أذنّا، فى الإقامة إذا أقمنا، فى الصلاة إذا صلينا، فى المعارك إذا غزونا، نؤذنّ به فى أذن المولود إذا وُلد، ليكون أول ما يطرق سمعه: الله أكبر

التكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله واللّه أكبر، ذلك لينغرس فى نفس كلّ مسلم أن كلّ ما يتهافت النّاس عليه من متاع الحياة الأدنى فالله أكبر منه.

إذا حرص الناس على المال. . على القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة، فالله أكبر من المال، والله أكبر من الذهب.

إذا حرص الناس على الأولاد، فالله أكبر من الأولاد.

إذا حرصوا على المناصب، فالله أكبر من المناصب.

إذا هاب الناس الكبراء، أو خاف الناس فلاناً أو علاّناً، أو طمع الناس فيما عند زيد أو عمر من الخلق، فالله أكبر من كل ما يخاف منه الناس، وأكبر من كلّ ما يطمع فيه النّاس.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر وللّه الحمد.

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الصغير عن أنس، وفى نسخة عن أبى هريرة، وقال الهيثمى: فيه عمر بن راشد ضعّفه أحمد وابن معين والنّسائى (فيض القدير للمناوى: ٤/ ٦٨ برقم ٤٥٧٨).

مزية الاعياد الإسلامية:

أعيادنا نحن المسلمين تبدأ بالتكبير وتبدأ بالصلاة. إذا كانت الأعياد عند بعض النّاس انطلاقاً للشهوات وعبّاً من اللذّات، ما حلّ وما حرم، فالأعياد عندنا فيها فرحة، ولكن ليس فيها اتباع للشهوات.

أعيادنا نحن المسلمين جاءت جائزة من الله للأمّة، مكافأة لها على فريضة من الفرائض. وشعيرة من الشعائر، قامت بأدائها، فعيد الفطر جاء بعد الصيام، وعيد الأضحى جاء بعد الحج.

هكذا تكون الأعياد.

فرحة العيد وبم تكون ولمن تكون؟:

جاء عيدنا هذا يتمّم الفرحة اليوميّة للمسلم: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربّه فرح بصومه»(١) وهى أكبر. فرحة عند الفطر وهذه لها معنيان: عند الفطر اليومى، وعند الفطر فى نهاية الشهر، إنّها فرحة بأنّ الحرام عليه أصبح حلالاً، ما كان ممنوعاً منه أصبح مأذونا فيه، حلّ له الطعام والشراب ومباشرة النّساء، وفرحة أكبر بأنّ الله وفّقه لأداء الطاعة والامتثال للأمر «. . يدع الطعام من أجلى، ويدع الشراب من أجلى، ويدع لذّته من أجلى، ويدع زوجته من أجلى. . »(٢).

فرحة يوميّة تمّمها هذه الفرحة فى يوم العيد بانتهاء الشهر كلّه فى طاعة الله.

من حقّ من أطاع الله ووفّق لأداء الواجب أن يفرح: ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾[يونس: ٥٨].

---

(١) قطعة من حديث رواه البخارى واللفظ له، ومسلم، عن أبى هريرة رضى الله عنه (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/٣٠٧ برقم ٥٠٥).

(٢) رواه ابن خزيمة عن أبى هريرة رضى الله عنه، وأوّله: «كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله: إلاّ الصوم فهو لي وأنا أجزى به. . » (المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب: ١/ ٣٠٨).

الفرحة بفضل الله وبالطاعة، وبرحمة الله وتوفيقه، هى التى تغمر القلوب.

وذلك أن فرحة العيد إنّما تكون للصائمين القائمين وحدهم، أمّا الذين لم يعرفوا الصيام والقيام، فوجوههم يومئذ عليها غبرة، ترهقها قترة. إنه ليس عيدهم، إنّه يوم أسود عليهم، علام يعيّدون وبم يفرحون إنه عيد الصائمين القائمين.

هذه فرحة العيد.

فرحة أخرى ننتظرها: عيد النصر:

ولكن تبقى فرحة ندّخرها وننتظرها ونرجوها هناك فى العيد الأكبر: يوم ينتصر الإسلام، يوم تعلو كلمة الإيمان، يوم ترتفع راية القرآن، يوم تقرّ أعيننا بانتصار المجاهدين فى سبيل الله فى فلسطين، وفى أفغانستان، وفى كلّ مكان من أرض الإسلام، يوم تقوم دولة الإسلام الكبرى التى تقيم دين الله فى الأرض، وتحكّم شريعته وتعلى كلمته وتوحّد أمّته وتحرّر أرضه من كلّ طاغوت.

هنالك نفرح الفرحة الكبرى.

ننتظر هذه الفرحة، نتمنّى أن لا نموت حتى تقرّ أعيننا بهذا اليوم.

صار لى سنون والله - أكثر من أربعين سنة - وأنا أخطب فى الأعياد، وأنتظر هذا اليوم الذى تتحرّر فيه هذه الأمّة من الطواغيت، ومن المستعمرين، من كلّ لون واسم ونوع، ومن كلّ ظلم وجبروت، وتقيم شرع الله فى الأرض الله.

ننتظر هذا العيد، ولكن هذا العيد لم يأت بعد، لم يأت العبد المنشود الموعود، ولا زلنا فى كل عام نتغنّى مع أبى الطيب المتنبّى:

عيد بأيّة حال عُدت ياعيد ... بما مضى أم لأمر فيك تجديد

أمّا الأحبّة فالبيداء دونهم ... فليت دونك بيداً دونها بيد

ما يكيده اليهود لنا:

كان المتنبى يبكى على أحبته، وعلى فراقه لهم، وبُعده عنهم. ونحن نبكى

ما هو أكبر، نبكى على ضياع أرض الإسلام، نبكى على تحكّم أعداء الله فينا، حتى اليهود الذين عاشوا فى أكنافنا وفى حضانتنا وتحت حمايتنا وفى أماننا وذمّتنا قروناً من الدهر، طردهم العالم من كلّ مكان، ولم يجدوا صدراً حنوناً ولا كهفاً يأوون إليه ولا بلداً يضمّهم فى رحابه إلاّ دار الإسلام، عاشوا فيها آمنين مطمئنين، حتى واتتهم الفرصة فقلبوا لنا ظهر المجن، وانقلبوا علينا، واحتلّوا أرضنا، وطردوا أهلنا.

ولم يكفهم ذلك، ولكنّهم يريدونها ويعلنونها على الملأ (إسرائيل كبرى)، هكذا قال كبيرهم، وهكذا يدبّرون ويخطّطون لملايين تأتى هناك من بلاد السوفيت إلى الأرض المقدّسة.. الخروج الكبير. الخروج السامى كما يسمّونه.

إنّهم يبيّتون أمراً، ولا نستبعد شيئا.

كنّا نستبعد أن تقام دولة إسرائيل، وكان يقال (إسرائيل المزعومة) سنين وسنين، ثمّ أصبحت حقيقة واقعة، بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين!

لا تستبعدوا شيئا.

إنّهم يريدون خيبر! إنّ أحدهم قال على الحدود الأردنية لأحد الفلسطينيّين وقد وجد معه تمراً: من أين هذا؟ قال: من خيبر، خذ شيئاً منه. وأوشك أن يأخذ بعض تمرات، ثمّ ردها، وقال: لا والله حتى نأكلها هناك فى خيبر!

إنّهم يريدون خيبر، بل يريدون مواقع بنى قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع حول المدينة المنورّة، يريدون قبر رسول الله ﷺ.

إنّهم يريدون ذلك، ولا تستبعدوا شيئاً مادمنا فى غفلتنا، ما دمنا مشتّتين، ما دمنا ممزّقين، ما دامت تحكمنا أهواؤنا، ما دام على كراسى الحكم أناس لا همّ لهم إلاّ أن يبقوا سلاطين.

مادامت هذه الأمّة بعيدة عن ربها، بعيدة عن دينها، فسيغلبها كلّ مُغلَّب.

اليهود الذين كانوا أحرص الناس على حياة، أصبحوا يقاتلون وينتصرون علينا برجالهم ونسائهم! اليهود الذين عُرفوا بالشُّح و البخل وعبادة المال وعبادة عجل الذهب، يبذلون ويدفعون ويعطون.

أين ما يعطيه العرب والمسلمون؟ أين الأغنياء؟ أين المنفقون؟ أين أموال البترول؟ أين أموال التجارة؟ أين ما ندفع نحن؟ أين أين؟

نحن ننتظر العيد الأكبر، عيد انتصار الإسلام وتحرّر أرضه وتحكيم شريعته.

ننتظر هذا العيد، فمتى يأتى العيد؟

لازلنا نقول مع الشاعر:

قالوا عجبنا ما لشعرك باكياً ... فى العيد ما هذا بشأن معيّد

ما حيلة العصفور قصّوا ريشه ... ورموه فى قفص وقالوا غردّ!!

عيد توحيد الأمة على كلمة الإسلام:

إننا ننتظر العيد الأكبر، العيد الذى تعلو فيه كلمة الإسلام وتتوحّد فيه أمّة الإسلام على كلمة الإسلام، ولا يمكن أن يوحّد أمّة الإسلام إلاّ كلمة الإسلام.

إذا تركنا الإسلام تمزّقت هذه الأمّة وتفرّقت شذر مذر، ستختلف مابين يمين ويسار، وما بين الولاء لغرب والولاء لشرق، ستذهب هنا وهناك. ولكن الذى يجمعها هو منهج الله.. منهج القرآن.. منهج محمّد عليه الصلاة والسلام ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إنّنا – أيها الإخوة – فى حاجة إلى ذلك العيد الأكبر.

لامبرر لليأس فالغد لنا:

ولا أريد أن تمتلىء القلوب باليأس، لابدّ أن نذكر الأمل بجوار القُنُوط، لابدّ أن نذكر أنّ بشائر الفجر قد ظهرت، ظهرت فى هذه الصحوة الإسلامية المباركة، فى هذا الشباب المؤمن الذى عرف ربه، وعرف دينه، واستقام على

طريقه، وعمر المساجد فى الليل والنّهار، وعمر مواسم الحج والعمرة، ونشط لعبادة الله ولقراءة القرآن ودراسة الحديث ودراسة الكتب الإسلاميّة.

ظهور الصحوة من المبشرات:

هذه الصحوة يجب أن نعترف بها، فقد أصبحت حقيقة واقعة.

هذه الصحوة برزت آثارها فى مواقع شتّى:

فى المواقع الثقافيّة والفكريّة.. فى انتشار الكتاب الإسلامى، الذى أصبح الكتاب الأوّل فى سوق التوزيع وفى معارض الكتب.

الصحوة الإسلامية تجسّدت فى ظهور مصارف إسلامية ومؤسّسات ماليّة إسلاميّة، بعد أن كانوا يقولون إنّه لا أمل فى اقتصاد بغير ربا، الاقتصاد عصب الحياة والبنوك عصب الاقتصاد والفوائد الربويّة عصب البنوك.

أثر الصحوة فى ميادين الجهاد:

تمثّلت الصحوة الإسلاميّة فى الجهاد فى سبيل الله، الذى قام فى أفغانستان منذ سنوات، حتى اضطرّ تلك الدولة العملاقة – القوّة العظمى الثانية فى العالم – إلى أن تسحب جيوشها الجرّارة. ولكنّهم تركوا وراءهم أيضاً أسلحة وذخائر وأرضاً فيها عشرات الملايين من الألغام، حتى قال (جرباتشوف): إنّنا قاتلنا عشر سنوات، وستقاتل الأرض بعدنا عشر سنوات أخرى. ولكنّ الله من ورائهم محيط، وإنّ نصر الله قريب.

أثر الصحوة فى أرض الإسراء و المعراج:

رأينا هذه الصحوة فى إخوتنا وأبنائنا المجاهدين فى أرض النبوّات.. فى أرض فلسطين.. فى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين.. فى أرض المسجد الأقصى وأرض الإسراء والمعراج.

بعد أن يئس النّاس من هذه القضيّة التى احتكرها العلمانيوّن واليساريّون وأمثالهم، ولم يكن للجهاد الإسلامى سمع مسموع ولواء مرفوع، قام هؤلاء

الأشبال الصغار الكبار.. التلاميذ المعلّمون.. أشبال الحجارة، قامت ثورة المساجد، الثورة التى انطلقت من بيوت الله، وكانت راياتها المصاحف، وكانت شعاراتها (لا إله إلاّ الله والله أكبر)، وكان نشيدها الذى تحفّظه لأطفالها:

خيبر خيبر يا يهود جيش محمّد سوف يعود

ارتفعت هذه الصيحات بعد أن كان اليهود يقولون بملء أفواههم: محمّد مات وخلّف بنات.

لا، محمّد - ﷺ - لم يمت، إنّه باق، ودينه باق، وخلّف رجالاً، وسيظلّ هؤلاء الرجال يجاهدون.

قامت هذه الثورة، وقامت حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وقام الجهاد الإسلامى فى فلسطين، وإنّا لننتظر له النصر إن شاء الله.

إنه يبذل ويضحّى رغم الضربات الوحشيّة التى تُكال له، رغم تكسير العظام، رغم دفن الشباب أحياء، رغم الاعتقالات بالمئات والآلاف، رغم تدمير البيوت.

ولكن هذا لم يفتّ فى عضد هؤلاء المجاهدين الأبطال، إن أحدهم يستقبل الموت ويقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾[طه: ٨٤]، ويدخل السجن وهو يقول: خلوة فى سبيل الله. والأمّ تسمع خبر استشهاد ابنها فتقول ما قالت الخنساء: الحمد لله الذى شرّفنى بقتله وجعله شفيعاً لى يوم القيامة!

أمل الحكم الإسلامى فى السودان:

إنّ هذه كلّها من البشائر التى يجب أن نذكرها.

يجب أن نذكر هذا الحكم الذى قام هناك فى السودان يرفع راية الشريعة ويتوجّه إلى الإسلام بصدق، ولذلك تآمر عليه المتآمرون. حتى الذين رحّبوا به فى أوّل الأمر حينما ظهر وجهه الإسلامى بدأوا يكيدون له وباتوا يتآمرون عليه.

وهو يحاول أن يبنى البلد لبنة لبنة، ويزرع مساحات شاسعة من القمح

حتى يستغنى الناس، فهذا البلد الذى يمكن أن يكون سلّة الغذاء لعالمنا العربى كلّه كان يستورد الدقيق من الخارج.

بدأوا يزرعون، وبدأوا يضبطون الأمور بعد التسيبّ، وبدأوا يمنعون الفساد، ويمنعون التحلّل والإباحيّة!

ولذلك تآمر عليهم المتآمرون، وكانت مشكلة الجنوب التى وراءها ما وراءها من القوى الصليبيّة المختلفة.

إنّ السودان الآن أمل من الآمال، نسأل الله أن يثبت أقدام أصحابه وأن يضىء لهم الطريق، وأن يهديهم الصراط المستقيم، وأن يجنبهم المؤامرات والفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يبطل كيد الكائدين.

واجبنا مساندة الصحوة:

الصحوة الإسلامية – أيها الأخوة – فى كلّ مكان، آثارها ملموسة، نراها هنا وهناك. ولكن لابدّ أن نؤيدها، لابدّ أن نكون من ورائها، لابدّ أن نبذل كما يبذل الآخرون وأكثرهم منهم.

الله تعالى يقول: ﴿**وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النّساء: ١٠٤]. نعم، نألم كما يألمون، ونرجو من الله ما لا يرجون، فلنبذل كما يبذلون إنّهم يبذلون الكثير الكثير، فماذا بذلنا نحن؟

أقام اليهود دولة لهم فى قلب ديارنا، والنّصارى الصليبيّون يحاولون أن ينشروا النصرانيّة فى العالم حتى على أرضنا وعلى حساب عقيدتنا، ورصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين. حتى الشيوعيّة تبذل، فماذا بذلنا وماذا أعطينا؟

لابدّ أن نعطى الكثير، نحن أصحاب الحق، أيفدى أصحاب الباطل باطلهم بما يملكون ونحن نتقاعس عن نصرة الحق الذى أكرمنا الله تعالى به؟!

إنّ هذه الأمّة بخير، قد يوجد الفاسدون والمنحلّون والمنحرفون، ولكنّ الخير موجود في هذه الأمّة إلى يوم القيامة ﴿ **فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ** ﴾[الأنعام: ٨٩]، ﴿ **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٨١]، «لاتزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»(١).

الطائفة المنصورة بالحق الداعية للحق الهادية بالحق، هذه الطائفة ستظل إلى يوم القيامة. فلنكن جنداً في هذه الطائفة، وأنصاراً لهذه الطائفة، ولا ينتظر كلّ منّا أن يقوم غيره عنه، الإسلام يحتاج إلى رجال فلنكن رجاله، سنة الله ألا ينصر الحق إلاّ بأهله ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الأنفال: ٦٢]

مؤامرات القوى المعادية:

صحيح أنّ هناك مكايد ومؤامرات، وستظلّ، والله تعالى يقول: ﴿ **وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾[البقرة: ٢١٧]، ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾[البقرة: ١٢٠]، وها نحن نرى هذا الكيد وهذا الحقد الصليبي بين الحين والحين، نراه في المؤامرة على كلّ دعوة إسلامية وكلّ حركة إسلاميّة وكلّ جهاد إسلامي، رأيناه في قضيّة سلمان رشدي في بريطانيا.. في قضيّة حجاب الفتيات المسلمات في فرنسا.

في قضايا كثيرة، كبيرة وصغيرة، نرى هذا الحقد الصليبي.

لقد وقفوا ضد الصحوة الإسلاميّة وقالوا: الأصوليّون المتشدّدون المتطرّفون. فلّما وقفنا نحن ضدّ التشدّد والتطرّف ودعونا إلى الاعتدال، أتدرون ماذا يقولون اليوم؟ يقولون في صحفهم وأجهزة إعلامهم: احذروا الإسلام المعتدل! احذروا المسلمين المعتدلين! إنّهم يبدأون معتدلين ثمّ يتطرّفون! الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلا، إيّاكم أن تصدّقوا هذا! المعتدلون أخطر من المتطرّفين!! المتطرفّون لا

---

(١) رواه أحمد والشيخان، عن معاوية رضي الله عنه (صحيح الجامع الصغير برقم ٧٢٩٠).

يستمروّن طويلا، ولكن الذين يبقون ويستمروّن هم هؤلاء الذين يزعمون أنّهم معتدلون!!!

ماذا يُرضى هؤلاء؟ لا التطرّف يرضيهم ولا الاعتدال يرضيهم، إنّهم لا يرضيهم إلاّ أن نترك ديننا وأن نتبع ملّتهم كما قال الله[1]، ولن نتبع ملّتهم، ولن نتخلّى عن ديننا، ولن نبيعه بملء الأرض ذهبا وبملك المشارق والمغارب.

سنظلّ ثابتين على هذا الدين.. على هذه العروة الوثقى لا انفصام لها، حتى يتمّ الله نوره ولو كره الكافرون.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يهيّء لنا من أمرنا رشدا، وأن يتمّ علينا نعمه، فاستغفروا الله إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية:

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله، والله أكبر ولله الحمد.

الحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتنزّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقّق المقاصد والغايات. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيّدنا ومولانا محمّداً عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعاء بدعوته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

مساندة الجهاد فى الافغان وفى فلسطين:

أيّها الإخوة:

ابذلوا من أنفسكم، واعطوا من أنفسكم لنصرة دينكم، ونصرة إخوانكم المجاهدين فى سبيل الله. اعطوا فإنّ الله يبارك القليل ويربى لأحدكم صدقته، حتى

---

(١) أى في الآية السابقة من سورة البقرة: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [١٢٠].

تصبح التمرة كأنّها.... كما قال النبى ﷺ[1]، أو كأنّها جبل، ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾

[التوبة: ١٠٤]

إن الله أرصد ملكين يدعوان كلّ يوم: اللهم أعط منفقاً خلفا، اللهم أعط ممسكاً تلفا[2].

اعطوا للجهاد الإسلامى، سواءٌ كان فى فلسطين، أم فى أفغانستان. بعض الناس يقول: أىّ الجهادين أولى؟ كلّ منهما أولى، كلّ منهما جهاد فى سبيل الله، كلّ جهاد يرفع الراية الإسلاميّة فنحن وراءه، لا يمكن أن نتخلّى عن جهاد من أجل جهاد، لا يُتصوّر أن نتخلّى عن الأرض المقدّسة.. عن المسجد الأقصى.. عن أرض الإسراء والمعراج.

ابذلوا وستقسّم الحصيلة بين الجهادين إن شاء الله: الفلسطينى والأفغانى ثبتّهما الله.

هناك التبرع المباشر، وهناك الاستقطاع لكلّ شخص.

ابذلوا والله تبارك وتعالى معكم.

خبر كاذب عن الشيخ الغزالى:

أيّها الإخوة:

أحببت أن أسوق إليكم خبراً كنت تكلّمت عنه فى رمضان: نشرت الصحف عن الداعية الإسلامى الشيخ محمّد الغزالى أنّه قال لإحدى المجلاّت أنّه

---

(١) عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما تصدّق أحد بصدقة من طيّب - ولا يقبل الله إلاّ الطيب، إلاّ أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرةً تربو فى كفّ الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يُربّى أحدكم فَلُوَّهُ أو فصيلَهُ» متفق عليه. شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ٦/ ١٣٢ برقم ١٦٣٢).

(٢) عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلاّ ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفا» متفق عليه (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ٦/ ١٥٥ برقم ١٦٥٧).

لا يوافق على قيام أحزاب إسلاميّة وأحزاب على أساس دينى، وأنّ من أراد أن يدخل السياسة فليدخلها منفرداً!!

وبالاتصال بفضيلة الشيخ نفى هذا الكلام تماماً، وقال: إنّ هذا كلام بيّن البطلان، ولا يقوله إلاّ جاهل بالإسلام، وفصل الإسلام عن السياسة كفصله عن الأخلاق، والإسلام لا يعرف هذا الانفصال، ولا يمكن أن أقول هذا، فهذا إلغاء لحياتى كلّها، ولكتبى كلّها!

والذين نقلوا عنه الحديث قالوا: إنّه قاله فى رمضان، وأنّهم سألوه: ماذا تفعل فى رمضان؟ والشيخ يقول: أنا خارج مصر من (٢٥ شعبان)، وأنا فى قطر، فأين لقينى هؤلاء النّاس؟!

فأحببت تصحيح هذا لأنّى تحدّثت عن هذا الأمر فى المسجد، وحتى نعطى كلّ ذى حقّ حقّه، وحتى نعلم كيف يكيد لنا هؤلاء، وكيف يكذبون على الناس وهم أحياء، ويطيّرون الخبر فى الآفاق حتى يشوّشوا على المسلمين.

المؤامرات مستمرّة، ولكنّ الله من ورائهم محيط ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا**﴾ [الطارق: ١٥-١٧].

سيأتي العيد الأكبر إن شاء الله، ستقرّ أعيننا بانتصار الإسلام ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الرّوم: ٤-٦].

لقد أعدّ الإخوة المسؤولون عن النادى المبارك[1] هدايا للأطفال بمناسبة العيد، ستوزّع إن شاء الله بعد الخطبة.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يقرّ أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلّها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة.

---

(١) هو نادى قطر الرياضى، وله نشاطه الملحوظ بالدوحة الذى اعتاد منذ سنوات إحياء سنّة صلاة العيد فى ساحته (الاستاد).

اللهم أقرّ أعيننا بانتصار الإسلام.

اللهم انصر إخوتنا المجاهدين فى فلسطين، وانصر إخوتنا المجاهدين فى أفغانستان، وانصر إخوتنا المجاهدين فى السودان، وانصر إخوتنا المجاهدين فى كشمير، وانصر إخوتنا المجاهدين فى اريتريا، وانصر إخوتنا المجاهدين فى الفلبين، وانصر إخوتنا العاملين للإسلام فى كلّ مكان.

اللهم اجمع على الحق كلمتهم، ووحّد صفوفهم. اللهم اجعلهم جبهة واحدة فى مقاومة أعداء الإسلام.

اللهم اجمع كلمة الأمّة على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على المحبة، ونيّاتها على الجهاد فى سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنّا وأرضنا.

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾[الحشر: ١٠].

﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

وتقبل الله منّا ومنكم، وكلّ عام وأنتم بخير.

اللهمّ آمين

﴿ **سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الصّافات: ١٨٠ - ١٨٢].

* * *

(١٩) خطبة عيد الأضحى
(ألقيت بالدوحة عام ١٤١٧هـ)

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر الله أكبر.

الحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله تتنزّل الخيرات والبركات، وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات، الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رضي لنا الإسلام دينا، وأكمل لنا به الفضل، وأتمّ علينا به النعمة ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة:٣]، ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وأشهد أنّ سيدنا وإمامنا، وأسوتنا وحبيبنا، محمداً عبد الله ورسوله، معلّم الناس الخير، وهادى البشريّة إلى الرشد، وقائد الخلق إلى الحق، أرسله ربه بالهدى ودين الحق، و مبشراً ونذيرا، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا، ففتح الله برسالاته آذاناً صُمّا، وأعيناً عميا، وقلوباً غُلفا، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النّور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد.

اللهم صلّ وسلّم وبارك على هذا النبى الكريم، وأحينا اللهم على سنته، وأمتنا على ملّته، واحشرنا فى زمرته، مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصّدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

يوم الحج الاكبر:

أمّا بعد فيا أيها الإخوة المسلمون:

نحن فى يوم العيد.. يوم عيد الأضحى، وهو يوم من أيّام الله، يوم الحجّ الأكبر، فيه عاد الحجيج من مزدلفة ليرموا جمرة العقبة. ويذبحوا أو ينحروا،

ويحلقوا أو يقصرّوا، ثمّ يذهبوا بعد ذلك لطواف الإفاضة – الركن الثانى من الحج بعد الوقوف بعرفة – ﴿ **وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ** ﴾[الحج: ٢٩]، ومن هنا سمّى هذا اليوم (يوم الحج الأكبر)[١] لما فيه من عدد من أعمال الحج.

يوم النحر:

هذا اليوم يسمّى أيضا (يوم النحر) لما فيه من نحر الأضاحى، فقد شرع الله للمسلمين أن ينحروا فى هذا اليوم أضاحيهم توسعة من الله عليهم، ليوسّعوا على أنفسهم وعلى أسرهم وعلى من حولهم، وعلى الفقراء فى بلدهم، أو حيهم.

السّنّة فى الأضحية أن توزع أثلاثاً:

ثلث للمرء ولعائلته، وثلث لأقاربه وجيرانه وأصدقائه، وثلث للفقراء والمساكين. ولو تصدّق بكلّ أضحيته للفقراء فهو خير، إلاّ شيئاً يتبرّك به منها مثل كبد الأضحية أو رأسها أو نحو ذلك.

شرع الله هذه الأضاحى فى يوم عيد الأضحى ليوسّع على الأمّة، حتى لا يكون العيد للموسرين والقادرين وحدهم، ويكون غمّاً وكرباً على البائسين والمحرومين.

فى عيد الفطر فرض الله (زكاة الفطر) طعمة للمساكين وطهرة للصائم من اللغو والرّفث، لتكون نجدةً وإسعافاً للفقراء فى هذا اليوم العظيم، يسأل الغنى عن الفقراء ويطوف عليهم ويغنيهم أن يسألوا هم عنه ويطوفوا عليه.

---

(١) يقول الله تعالى: ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحجّ الأكبر . .** ﴾ [التوبة:٣]. وعن أبى هريرة قال: بعثنى أبو بكر الصديق فى الحجّة التى أمّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجّة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُريان. قال ابن شهاب: فكان حميد بن عبد الرحمن يقول: يوم النحر يوم الحج من أجل حديث أبى هريرة (رواه مسلم فى كتاب الحج من صحيحه).

وعن سليمان بن عمرو بن الأحوص أن أباه حدّثه أنه شهد حجّة الوداع مع رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه وذكّر ووعظ، ثم قال: « أىّ يوم أحرمُ (ثلاثا) قال: فقال الناس: يوم الحج الأكبر. . . » (رواه الترمذى فى أبواب التفسير من صحيحه).

وكذلك فى هذا العيد شرعت الأضحية

المعنى الربانى والمعنى الإنسانى:

فى أعيادنا - نحن المسلمين - معنيان كبيران: معنى ربانى، ومعنى إنسانى.

الأعياد فى بعض الملل وفى بعض النّحل تعتبر انطلاقاً للشهوات، ينطلق الناس فيها وراء غرائزهم، يفعلون ما يشتهون، أمّا نحن فأعيادنا أعياد تبدأ بالصلاة، ويزينها التكبير «زيّنوا أعيادكم بالتكبير»(١)، فالله أكبر الله أكبر الله أكبر، لا إله إلاّ الله، الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

الله أكبر من كلّ ما يحرص الناس عليه.. من كل ما يعظّمه النّاس ومن يعظّمه الناس، أكبر من الدنيا.. من فضّتها وذهبها.. من بترولها ونفطها.. من ذهبها الأسود وذهبها الأصفر وذهبها الأبيض، الله أكبر من كلّ هذه الدنيا، الدنيا لاتزن عند الله جناح بعوضة، فماذا يكبرّ الناس من هذه الدنيا ويعظّمون منها؟

هذا العيد يوم تكبير وتعظيم لله، ويوم صلاة لله، يبدأ هذا اليوم بهذه الصلاة.. صلاة العيد، فى عيد الفطر قالوا نزل قوله تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ**﴾[الأعلى: ١٤، ١٥]، وفى عيد الأضحى نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[الكوثر: ١، ٢] صلّ لله وانحر لله.

كان المشركون ينحرون لآلهتهم.. لمناة واللاّت والعُزّى وهبل وغيرها من الأصنام، فأصبح المسلم حين يُضحّي.. حين ينحر.. حين يذبح، يذبح لله، صلاته ونسكه لله ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

الأضحية تذكير بموقف إبراهيم واسماعيل:

وهذه الأضحية تذكّرنا بموقف عظيم من المواقف الخالدة كما رُوى فى

---

(١) تقدم تخريجه فى الخطبة الماضية (خطبة عيد الفطر).

حديث ضعيف أن الصحابة سألوا النبى ﷺ عن الأضاحى، فقال «سنّة أبيكم إبراهيم»(١) هو أوّل من ضحىّ، أمره الله أن يضحىّ بكبش، أو جاءته هذه الأضحية من الله عز وجل فداءً لابنه اسماعيل.

(إبراهيم) جعله الله أسوة للنّاس ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[الممتحنة: ٤]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[النّحل: ١٢٣]، ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[آل عمران: ٦٨].

(إبراهيم) ضحىّ بكل شىء لله:

ضحىّ بوطنه لله، خرج من وطنه مهاجراً ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[الصّافّات: ٩٩].

ضحىّ بنفسه لله، ألقى فى النّار.. النّار التى أحماها له أعداؤه، وأنفقوا فيها الألوف وعشرات الألوف حتى أجّجوها، ولم يستطيعوا أن يلقوه فيها إلاّ بالمقلاع. الله سبحانه وتعالى حينما ابتلى ابراهيم بهذا الابتلاء، لم يكن منه إلاّ أن قال: حسبى الله، فكان الله حسبه، وكان الله كافيه، وحوّل الله النّار إلى رَوْح ورَيْحان، وقال لها: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[الأنبياء: ٦٩].

---

(١) رواه ابن ماجة فى الأضاحى عن زيد بن أرقم، برقم (٣١٢٧) ونقل محققه عن (الزوائد) قال: فى إسناده أبو داود، واسمه نفيع بن الحارث، وهومتروك، واتهم بوضع الحديث.
رواه الحاكم ايضا فى التفسير وصححه (٢/٣٨٩) وعارضه الذهبى بأن فى إسناده (عائذ الله) قال أبوحاتم: منكر الحديث.
وأورد الحافظ المنذرى الحديث فى كتابه (الترغيب والترهيب) فى باب (الترغيب فى الأضحية، وقال: رواه ابن ماجة والحاكم وغيرهما، كلهم عن عائذا لله عن أبى داود عن زيد بن أرقم. ونقل قول الحاكم عنه: صحيح الإسناد، قال المنذرى: بل واهية، عائذ الله هو المجاشعى، وأبو داود هو نفيع بن الحارث الأعمى وكلاهما ساقط وتتمة الحديث: «فما لنا فيها يارسول الله؟ قال: بكل شعرة حسنة، قالوا: والصوف؟ قال: بكل شعرة من الصوف حسنة» وبهذا نعرف سقوط هذا الحديث الذى يرده الوعّاظ والخطباء فى الأعياد، وهو لا قيمة له، ولا يذكر مثله حتى فى الترغيب والترهيب. (القرضاوى).

وضحى إبراهيم بولده وفلذة كبده، إبراهيم شاخ وبلغ من الكبر عتيّا ولم يرزق أولادا، ولكنّه قال: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[الصّافات: ١٠٠] طلب الذريّة والذرّيّة الصالحة، وكلّ إنسان يشتاق إلى أن يمتد وجوده فى ذرّيّته، فوهب الله له على الكبر (إسماعيل) كما قال الله تعالى على لسانه: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ** ﴾[إبراهيم: ٣٩].

فكان أوّل من آتاه الله (إسماعيل)، جاء من (هاجر) التى أهداها إليه ملك مصر، وتعلّق قلب إبراهيم بوليده ووحيده، وكلمّا شبّ الغلام ونما نما حبّه فى قلب أبيه، وتعلّق به أكثر وأكثر.

فأراد الله تعالى أن يختبر خليله ونبيّه ابراهيم: أحبُّ الله أعظم أم حبّ ولده وابنه الذى أوتيه على الكبر؟

وكان الامتحان عسيراً، إنّ هذا الامتحان هو: أن يقدّم إبراهيم ابنه قُرباناً إلى الله، ولم يكن ذلك بالوحى الصريح والأمر المباشر، ولكنّة كان عن طريق الرؤيا.

رأى فى المنام أنّه يذبح ولده، ففهم الإشارة، وأطاع الأمر، وجاء لابنه – بعد أن بلغ معه السعى.. بعد أن أصبح يسعى معه ويذهب ويجيء ويُرجى منه النّفع – فقال له: ﴿ **يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصّافات: ١٠٢] .

هكذا كان موقف الوالد وهكذا كان موقف الولد، كلٌّ منهما أسلم لله ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** ﴾[الصّافات: ١٠٣] أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه، لم يكن فى روعة موقف إبراهيم إلاّ روعة موقف إسماعيل، موقفان سجلّهما التاريخ: الوالد يقدّم ولده ويتلّه ويصرعه على جبينه، والولد يقدّم رقبته طائعاً مختاراً ويقول لأبيه بثقة المؤمن وإيمان الواثق: ﴿ **يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ** ﴾[الصّافات: ١٠٢] نفّذ ماعندك من الأوامر، حتى أنه لم يقل: افعل بى ما تؤمر، كأنّما نسى نفسه وفنى عن ذاته، ولم يدّع الشجاعة ولا البطولة، ولكنّه

قال فى تواضع المؤمنين، وثقة المتوكلين: ﴿ **سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الصّافات: ١٠٢] .

وكان كما وصفه الله: ﴿ **فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ** ﴾[الصّافات: ١٠١] ، هنا يظهر الحلْم، هنا يظهر الصبر، هنا يظهر العقل.

﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ** ﴾[الصّافات: ١٠٣-١٠٥]، انتهت الرؤيا، ليس المقصود أن تريق دم ابنك، إنّما المقصود أن تذبح حبّه فى قلبك، أن تقدّم أمر الله على عواطفك، وقد نجحت فى الامتحان.

وهنا قال له: ﴿ **قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾[الصّافات: ١٠٥-١١٢]، جوزى على هذا الصبر وعلى هذه التضحية وعلى هذا الفداء بأن أعطاه الله ولداً آخر: إسحاق وهو نبى من الصالحين.

لماذا وقف إبراهيم هذا الموقف الخالد؟ ما السرّ وراء ذلك؟ قال: ﴿ **إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[الصّافات: ١١١] العبودية المؤمنة وراء هذا الموقف البطولىّ، العبد المؤمن الذى يعبّد نفسه لله ويحرّرها من كلّ ما سواه.. المؤمن بما عند الله.. المؤمن بقدرة الله.. المؤمن بلقاء الله.. المؤمن بوعد الله، الله تعالى يعطيه قوّة غير عاديّة.. قوة فائقة.

ما أحوجنا أيّها الإخوة إلى أن نستفيد من هذا الدرس. الله خلّد هذا الدرس.. هذا الموقف العظيم للإنسانية طوال تاريخها، أيدّ الله إبراهيم وفدى اسماعيل بذبح عظيم وخلّد هذا الموقف بهذا اليوم، وبالأضحية فى هذا اليوم «ضحّوا فإنها سنّة أبيكم ابراهيم»(١).

---

(١) مرّ تخريجه فى ص (٢٥٩).

حاجتنا إلى تضحية إبراهيمية:

ما أحوجنا إلى هذا البذل، وإلى هذه التضحية، وإلى هذه الطاعة لله، وإلى الصبر على أمر الله، وخصوصاً فى أيّامنا هذه.

الإسلام يُهاجم من يمين وشمال، ومن شرق وغرق، ومن شمال وجنوب. هجمة شرسة علي هذا الدين، فى الخارج وفى الداخل، تكالب أعداء الإسلام مهما اختلفت هوياّتهم، واختلفت أهدافهم، واختلفت طرائقهم، واختلفت دياناتهم، فقد اتفقوا على عدواة الإسلام، وعلى الهجمة على الإسلام.

نرى ذلك فى نواحٍ شتىّ وصور شتىّ.

ما نراه فى أرض النبوّات - الأرض التى بارك الله فيها للعالمين، أرض الإسراء والمعراج، القدس الشريف، المسجد الأقصى، أولى القبلتين، أحد المساجد الثلاثة التى لا تُشدّ الرحال إلاّ إليها - ما نراه الآن من هذا الاستكبار الإسرائيلى.. من هذه الصهينة الإسرائيلية.. من هذا التجبرّ الأمريكى.. من هذا الغياب الإسلامى، من هذا العجز العربى، ما نراه اليوم يرينا أنّنا نعيش عصر غربة الإسلام، الإسلام أصبح غريباً فى دياره.

اليهود الذين عاشوا بين ظهرانينا قروناً طويلة أهل ذمّة لنا، فى ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّة جماعة المسلمين، طردهم العالم كلّ العالم، لفظهم لفظ النّواة، ولم يجدوا لهم ملاذا يؤويهم، لم يجدوا صدراً حنوناً إلاّ دار الإسلام، أوطان الإسلام هى التى وسعتهم وآوتهم.

فلمّا تمكنوا قلبوا لنا ظهر المجن، وأصبحوا الآن يريدون محو القدس، لايريدون المسجد الأقصى. لقد قالوا من قديم: لامعنى لإسرائيل بغير القدس، ولا معنى للقدس بغير الهيكل، أى يريدون أن ينقضوا المسجد الأقصى ويجعلوا مكانه هيكل سليمان، الذى يبحثون عنه منذ سنوات وسنوات، ولم يجدوا له أثراً.

هذا هو شأن اليهود.

مستوطنة (أبى غنيم) أو (هارحوما) أو غير ذلك هى حلقة فى سلسلة بدأت من قديم، واتفق عليها الجميع: الليكود والعمل، رابين ونتنياهو أو بيريز، كلّهم سواء فى هذه القضيّة.

حب الدنيا وكراهية الموت:

الأمر الذى أطمعهم أنّنا أصبحنا كما جاء فى الحديث: كثرة كغثاء السيل، نزع الله من صدور أعدائنا المهابة منّا، وقذف فى قلوبنا الوهن «.. قال قائل: يارسول الله وما الوهن؟ قال: حبّ الدنيا وكراهية الموت»[1]. أحبّ الناس الدنيا وتعلّقوا بها، وأصبح كلّ يقول: نفسى نفسى، مصلحتى مصلحتى، وكرهوا الموت.

كان خالد بن الوليد يغزو الفرس والروم، ويقول للقادة فى رسائله إليهم: أسلموا تسلموا وإلاّ غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة!

نحن نريد هؤلاء.

لقد طمع فينا أعداؤنا، أصبحنا كلّما قرأنا نشرة الأخبار أو سمعناها أو شاهدناها، أو طالعنا الصحف فيِ كلّ صباح، نجد قضايا المسلمين ومآسى المسلمين هى التى تملأ أنهار الصحف وهى التى تبدأ بها الإذاعات.

نجد مآسى المسلمين فى فلسطين، ومآسى المسلمين فى السودان - الذى جُنّدت له الجنود وسُلّط عليه الجيران الذين طالما ساعدهم من قبل: اريتريا

---

(١) أخرجه أبو داود عن ثوبان رضى الله عنه وفيه راو مجهول وباقى رجاله ثقات، لكن رواه أحمد فى المسند بنحوه من طريق آخر، وسنده قوى، فصحّ به، وأوّله: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. قال قائل: يارسول الله ومن قلّة يومئذ؟ قال: لا بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، ولتعرفنّ [فى أبى داود «وليقذفنّ الله] فى قلوبكم الوهن..» ينظر (شرح السنة للبغوى بتحقيق شعيب الأرناؤوط: ١٥/١٦ برقم ٤٢٢٤).

وأثيوبياوغيرهما – ومآسى المسلمين فيِ كشمير، ومآسى المسلمين فى الفلبين، مآسى المسلمين فى بلاد شتىّ.

المؤامرات الكيديّة الجهنّمية لا تحاول أن تغلق ملفاً إسلاميّا، كلّ القضايا تُترك فيها ذيول.

أفغانستان كنّا نظنّ أنّ قضيتّها انتهت، ولكنّ المكائد التى تكيد لهؤلاء لا تريد أن ينتفع هؤلاء بالنّصر، سلّطوا بعضهم على بعض. لا نُعف إخوتنا هناك من المسؤولية، ولكنّا نشير أيضاً إلى المكر الكبّار. . إلى الكيد العظيم الذى يُكاد لهم.

وفى كلِ مكان نجد آثار هذه المكائد التى تكاد للمسلمين، والله تعالى يقول: ﴿ **ولا يزالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾ [البقرة:٢١٧]

الحرب على الإسلام فى الداخل والخارج:

يا أيّها الإخوة:

الإسلام يُحارب فيِ الخارج، ويُهاجم فى الداخل. رأينا تلك الحملات المسعورة التيِ تُشنّ على دعوة الإسلام، وعلى رسالة الإسلام، وعلى كتاب الإسلام، وعلى رسول الإسلام، رأينا ذلك كلّه.

رأينا من يكتب يشكّك فى القرآن، رأينا من يكتب يشكّك فى رسول الإسلام.

ورأينا فى القنوات الفضائية وفى الحلقات الإذاعية تشكيكاً فيِ المسلّمات الإسلاميّة:

رأينا من يشكّك فى تعدّد الزوجات.

رأينا من يشكك فى الطلاق.

رأينا من يشكّك فى الميراث الذى جعله الله فريضة ﴿ **فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً** ﴾ [النّساء:١١].

رأينا من يشكّك فى الربا.

رأينا هذه الحملات هنا وهناك.

وكل هذا يدلّنا على أنّنا فى عصر لابدّ فيه من الرجعة إلى الله.

زماننا وزمان الأقدمين:

لو نظرنا ماذا كان يقول الأقدمون عن زمانهم، ماذا يقولون لو رأوا زماننا؟!

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها تنشد قول لبيد بن ربيعة الشاعر صاحب المعلّقة:

ذهب الذين يُعاش فيِ أكنافهم وبقيت فيِ خَلْف كجلد الأجرب

ثم تقول: رحم الله لبيداً، كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟! وقد عاشت هى إلى زمن بنى أميّة.

وكان ابن اختها (عروة بن الزبير) - وعاش بعدها سنين - يقرأ هذا البيت ويقول: رحم الله لبيداً، ورحم الله عائشة، كيف لو عاشا إلى زماننا هذا؟!

وماذا نقول نحن؟ نحن نقول: رحم الله لبيداً، ورحم الله عائشة، ورحم الله عروة، كيف لو عاشوا إلى زماننا هذا؟!

كان الإمام مالك - وهو فى القرن الثانى للهجرة وفى عصر ازدهار الإسلام - يقول: هذا زمان السكوت، وملازمة البيوت، والرضا بقليل القوت! كيف لو عاش إلى زماننا هذا؟!

وكان شاعرهم يقول:

هذا الزمـــان الذى كنا نحـــاذره فى قول كعب وفى قول ابن مسعود

إن دام هذا ولم تحـدث له غِـيَـرُ لم يُبك مـيتُ ولم يُفـرح بمولود!

كانوا يقولون هذا عن زمانهم، فماذا يقولون عن زماننا هذا؟

انبثاق النور من الظلام:

أنا لا أريد أن أيئسكم أيها الإخوة. لاشك أنّ هناك انبلاجاتُ فيِ هذا

الظلام، من هذا الظلام انبلج فجر جديد، هو فجر البعث الإسلامي. المدّ الإسلامي. الإحياء الإسلامي. الصحوة الإسلاميّة، سمّوا هذا الأمر ما تسمّونه، ولكنّها حقيقة واقعة.

هذه الصحوة هي التي أقلقت القوى المعادية للإسلام، وأقضّت مضاجع أعداء الإسلام، وزلزلت أركانهم، فبدأوا يكيدون كيداً لهذه الأمّة، وبدأوا يمكرون بها مكراً، وطفقوا يستخدمون كثيراً من الحكّام، وكثيراً من الأقلام، وكثيراً من أهل الفكر كما زعموا.

بدأوا يستخدمون أبناء المسلمين في ضرب الإسلام نفسه وهذه هي المصيبة. المصيبة أنّ الإسلام يُضرب من أهله، وهذا ما قاله أحد المنصّرين الكبار[1] قال: لن ننجح إلاّ حينما نربّي من المسلمين من يحارب الإسلام، الشجرة لا يقطعها إلاّ أحد أبنائها، لابّد أن نربي من أبناء الإسلام من يقطع الشجرة!

وهذا ما حدث.

صنعوا على أعينهم، وربّوا على أيديهم، أناساً يتسمّون بأسماء المسلمين: محمد. وأحمد. وعبد الرحمن. وعلي. وعمر. وحسن. وحسين. الخ، أسماء إسلاميّة ولكن عقول غربيّة. في رؤوسهم عقول غربيّة وفي صدورهم قلوب أوربية أو أمريكية، عقول لا تحمل مفاهيم الإسلام وقلوب لا تحمل مشاعر الإسلام، ولاؤهم لغير الله وعداؤهم لغير الله، حبهم لغير الله وبغضهم لغير الله.

ما أحوجنا نحن إلى أن نكون مع الصحوة، نشدّ أزرها، نقوّي عضدها، نغذّيها بماء عيوننا، ودم قلوبنا، ودمع عيوننا، حتى ترتوي تلك الشجرة وتمتد جذورها في الأرض وفروعها في السماء، وتؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربها.

---

(١) هو القسيس (زويمر) رئيس إرسالية التبشير في البحرين، حيث ذكر في مقدمة كتابه (العالم الإسلامي اليوم): «تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لأنّ الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها» انظر (الغارة على العالم الإسلامي) تأليف ا.ل. شاتليه، تلخيص وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، ص ٥٠.

نحن نعتقد أنّ الغد للإسلام. . أنّ المستقبل لهذا الدين، وأنّ أحلك ساعات الليل سواداً وظلمة هى السويعات التى تسبق الفجر، تشتد الظلمة ثم ينفجر الفجر وينفجر النّور، وهذا هو اعتقادنا.

لكن الأمة لم تزل بخير:

نحن الآن نعيش أيّام محنة لهذا الدين، ولكنّا لا ننكر أبداً هذه الجموع المسلمة، المؤمنة بالإسلام، أكثر من مليونين بالأمس كانوا فى صعيد عرفات، وحوالى ثلاثة ملايين كانوا فى ليلة القدر (ليلة ٢٧ رمضان) فى الحرم المكى، وآخرون فى الحرم المدنى.

الآن لو نظرت إلى الذين يصلّون صلاة العيد من المسلمين ستجدهم مئات الملايين.

هذه الأمة لم تكفر بربها، لم تكفر بمحمّدها، لم تكفر بقرآنها، لم تكفر برسالتها. الذين كفروا وانحرفوا منها قلّة قليلة، لا يُقام لهم وزن، ولا يُرعى لهم اعتبار، ولكنّ الأغلبيّة فى هذه الأمّة لا تزال مع الإسلام حتى من لم يكن مع الإسلام بسلوكه فهو مع الإسلام بعواطفه. . بقلبه، ويتمنى أن ينصر الله الإسلام.

وكثير من العصاة، المقصّرين فيِ حقّ الله، المفرّطين فيِ جنب الله، لو دعوتهم إلى أن يبذلوا للإسلام لاستجابوا لك.

ووالله إنّ كثيراً من الناس حينما تحمّسهم لهذا الدين، حينما يسمعون موعظة بليغة، حينما يسمعون كلمة صادقة من صارخ يصرخ فيِ النّاس: هبّوا إلى الله، مَنْ أنصارى إلى الله؟ من ينصر هذا الدين؟ ستجد من جماهير هذه الأمّة. . من جموعها، من يقول: لبيّك لبيّك، نحن فداء لهذا الدين!

هذه الأمّة لا تزال بخير، ولا تزال شعوبها بخير.

من قديم قال العلاّمة محب الدين الخطيب فيِ مجلّته (الفتح): المسلمون إلى خير ولكنّ الضعف فى القيادة!

لا نجد قيادة سياسيّة، ولا قيادة فكريّة، ولا قيادة دينيّة على المستوى المطلوب.

سقطت الخلافة ولم نجد بديلاً لها.

النّصارى عندهم (بابا) يرجعون إليه، ونحن ليس عندنا (بابا) ولا (ماما) ولا أحد نرجع إليه!

حتى العلماء الذين كانت لهم كلمة في النّاس، كان هناك من يسمّى (شيخ الإسلام) لا نجد الآن من نعتبره (شيخ الإسلام).

استطاع الساسة أن يفسدوا العلماء، أن يقرّبوهم إلى ساحتهم، أن يشتروهم بالمناصب، أن يعكّروا عليهم دينهم، ففسد كثير من العلماء، كما فسد كثير من الحكّام، انتشر الفساد في الجميع - والعياذ بالله - إلاّ من رحم ربك.

نحن نعتقد أنّ هذه الأمّة بخير، الضعف في القيادة، علينا أن نبحث عن القيادة الدينيّة والقيادة الفكريّة والقيادة التربويّة، وأن ينضمّ بعضنا إلى بعض، ما أضاعنا إلاّ التمزّق. . إلاّ التعادي.

وأنا أدعو العاملين للإسلام خاصّة - الذين وهبوا أنفسهم لنصرة هذا الدين - أن يتناسوا الخلافات الجزئيّة والمعارك الجانبيّة، وأن يقفوا صفّاً واحداً في معارك الإسلام الكبرى: معركة الإسلام مع أعدائه. . معركة العقيدة. . معركة الشريعة. . معركة الدعوة. . معركة الأمّة. . معركة الحضارة، يجب أن ننسى كل المعرك الجزئيّة والجانبيّة ولا نذكر إلاّ هذه المعركة.

يجب أن نتناسى خلافاتنا، وأن نستعلي على هذه الأمور الصغيرة، لنبقى في القضيّة الكبرى ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصّف: ٤].

أيّها الإخوة:

هذه خواطر إنسان يسمع ويرى.

قلبى يحسّ وهـذه عينى ترى ما حيلتى فيما أحسّ وما أرى!

أحسّ وأرى فـلا بدّ أن أبثّكم مـشـاعـرى، وأن أظهـر لكم مـا فى قلبى، لتكونوا معى، وتعايشونى فيما أنا فيه.

عصر الصحوة الإسلامية:

نحن نعيش فى عصر يُكاد للإسلام فيه كيدُ كبير، ولكن هو عصر الصحوة الإسلامية. . صحوة العقول والقلوب. . صحوة الإرادات والعزائم. . صحوة الالتزام والسلوك. . صحوة الدعوة والجهاد. . صحوة الرجال والنّساء. . صحوة الشبّان والشّابّات.

هى صحوة إسلاميّة عامّة فى كل أقطار الإسلام، وخارج أقطار الإسلام، حتى فى بلاد الغرب وبلاد الشرق الأقصى والأمريكتين، فى كلّ هذه البلاد صحوة إسلاميّة.

وهذه الصحوة لن تموت، وهذه الأمّة لن تموت، لأنّها أمّة الدين الخالد، ليس بعد هذا الدين دين، ليس بعد هذه الرسالة رسالة، ليس بعد القرآن كتاب، ليس بعد محمد ﷺ نبى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب: ٤٠]

وقد تضمّن الله لهذه الأمّة بالبقاء وألاّ تُستأصل، وتضمّن لها أن لا تجتمع على ضلالة، وأن تبقى فيها أمّة قائمة بالحق ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٨١].

ولا تزال طائفة من هذه الأمّة، قائمة على الحق حتى يأتى أمر الله، وقد روى الإمام أحمد والطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه أنّ النبى ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمّتى على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضرّهم من

خالفهم، إلاّ ما أصابهم من لأواء [أى من أذى] حتى يأتى أمر الله وهم كذلك. قالوا: يارسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»[1].

فهذه بشرى رسول الله ﷺ ﴿ **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[التوبة: ١١١]، وثقوا أنّ النّصر لهذا الدين ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾

[التوبة: ٣٢، ٣٣]

اللهم انصرنا على أعدائنا أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم نكّس أعلامهم، وزلزل أقدامهم وأدل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، وأنزل عليهم بأسك الذى لايردّ عن القوم المجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم انصر إخواننا فى فلسطين وفى لبنان، وانصر إخواننا فى كشمير وفى السودان، وانصر إخواننا فى سائر بلاد الإسلام اللهم أيدّهم بروح من لدنك، واحرسهم بعينك التى لا تنام، واكلأهم فى كنفك الذى لا يضام.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى وقلوبها على التقوى، ونفوسها على المحبة، ونيآتها على الجهاد فى سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرجمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئناً، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم اجعل هذا العيد بشير خير وبركة على أمّة الإسلام، واجعله نذير وبال وحسرة وهزيمة على أعداء الإسلام.

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وعزاه إلى المسند والطبرانى، وقال: ورجاله ثقات (٧/٢٨٨).

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأعد علينا أمثال هذا اليوم بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبه وترضى.

اللهم آمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَومِ الْكَافِرِينَ ﴾[آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[الحشر: ١٠].

وتقبل الله منا ومنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *